محاضرات في مقياس جماليات السرد العربي القديم

المحاضرة: السرد في كتب الأخبار

يحتل السرد في كتب الأخبار موقعا مهما في التراث العربي ، حيث يشكل وسيلة رئيسية اعتمدها العرب في تسجيل حياتهم وحفظ ذاكرتهم من خلال نقل مختلف الحوادث والوقائع والنوادر والأمثال والحكم، نقلا شفويا بدأ بشكل بسيط في المجالس والأسواق، ليصبح بعد ذلك مادة معرفية غنية تعد من أكثر المدونات التراثية إثارة للانتباه من حيث تراثها السردي وتنوع وظائفها المعرفية، وميدانا خصبا لدراسة اللغة العربية التي تحولت إلى أداة جمعت بين نقل الخبر وتسجيل الحدث وتوثيقه لصوغ الذاكرة وإعادة بناء الحدث، وبين الاستعمال اللغوي الذي جمع بين الفصاحة والبلاغة والأسلوب القصصي المتميز، واللغة الجمالية التي تتفاعل فيها الجمل والإيقاعات والصور الحسية وغيرها...

- السرد في كتب الأخبار/ المفهوم والنشأة :

1- المفهوم :

جاء في لسان العرب لابن منظور: " الخبر بالتحريك: واحد الأخبار. والخبر ما أتاك من نبأ عمن تستخبر.ابن سيده: الخبر: النبأ .والجمع أخبار "[1]

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى**"فسأل به خبيرا"** سورة الفرقان، الآية 59

والتي تعني السؤال عن الله وقدرته وعظمته وصفاته من طرف من هو خبير به وعالم بعظمته، أي طلب المعرفة ممن أوتي العلم الصحيح ، وخبيرًا هو اسم مشتق من الخبر، أي العالم بحقيقة الأشياء.

---

[1] - ابن منظور، لسان العرب، ص: 12

والخبر اصطلاحا " نتاج شفوي تناقله الرواة واستمتع به الناس في مجالسهم الخاصة"[2] وهو فن يتخذ من السرد وسيلة لإيصال فكرة معينة إلى المتلقي، و يتضمن نصا قصيرا أو طويلا يقدم من خلاله قولا أو حدثا أو واقعة قد تحتمل الصدق وقد تحتمل الكذب .

يتميز الخبر ببساطة واضحة في تركيبه، وبأحادية الحدث الذي يدور حوله، وهذه البساطة تتجلى في مجموعة من الخصائص يذكرها سعيد جباري، وهي كالآتي:

- يقوم السرد على بنية سردية بسيطة تعتمد على السهولة والإيجاز
- يتركز السرد في الخبر عادة حول حدث واحد مباشر وغير معقد
- يجري الخبر عادة في فضاء غير محدد زمانا ولا مكان
- يتصف الخبر بمرونة تسمح بتحوله على مستوى الحدث والصياغة
- يعتد الخبر على صيغة خطابية قليلة التنوع، مع غلبة واضحة لصوت السارد على بقية الأصوات..[3]

كما يتميز الخبر بتنوع تقنياته السردية، وانفتاحه على الأشكال المتعددة من الحكي فهو يضم العديد من الأنواع (القصة الطريفة- الحدث التاريخي الموثق- الأمثال- النوادر-السير- أخبار الشعراء- حكايات العرب في الجاهلية والإسلام وغيرها...

2- النشأة :

" تكاد المصادر العربية تجمع على كون عبيد بن شرية الجرهمي أول من ألف كتابا في الأخبار زمن معاوية بن

---

[2] - ركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس هجري، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، 2011م، ص:175.

[3] - ينظر االدكتورة أسيا جريوي، مطبوعة بيداغوجية في مقياس "جماليات السرد الغعربي القديم، جامعة محمد خضير، بسكرة، ص: 45.

أبي سفيان وبأمر منه. حيث تروي المصادر أن معاوية استقدم عبيدا جملة من الأسئلة المتعلقة باهتمامات الناس العامة، وما يثير انتباههم من الأخبار، فانصرف عبيد إلى حكاية ما تواتر مما له علاقة بأخبار الماضين والمتقدمين، وملوك العجم والعرب. ثم دعا معاوية ديوانه وكتابه أن يدونوا كل ذلك"[4]

3- وظيفة كتب الأخبار:

كتب الأخبار ليست مجرد تجميع للحكايات والأحداث التاريخية والسياسية أو الدينية، بل هي مخزون معرفي متكامل جمع بين التاريخ والأدب والفلسفة والفكر والبلاغة..، وهو وسيلة للتربية الأخلاقية و الترفيه والتشويق والتسلية، وقد اعتبر النقاد كتب الأخبار مرحلة مهمة وتأسيسية في السرد العربي القديم لما له من وظائف متعددة ساهمت في حفظ تاريخ الأمة العربية وحافظت على هويتها الثقافية والفكرية.

يقدم المسعودي رؤية شاملة لوظيفة كتب الأخبار في الثقافة العربية الإسلامية في كتابه مروج الذهب، **يقول المسعودي موضحا ما يرى من فضائل علم الأخبار (التاريخ / الحكايات) :"** كل علم من الأخبار يستخرج، وكل حكمة منها تستنبط، والفقه منها يستثار، والفصاحة منها تستفاد، وأصحاب القياس عليها يبنون، وأهل المقالات يحتجون، ومعرفة الناس منها تؤخذ، وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق ومعاليها منها تقتبس، وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس، وكل غريبة منها تعرف، وكل عجيبة منها تستطرف، وهو علم يستمتع بسماعه العالم والجاهل..... وبعد فإنه يوصل به الكلام،

---

[4] - عثمان رواق، دروس في جماليات السرد العربي القديم، ص: 40

ويتزين به في كل مقام، ويتجمل به في كل مشهد، ويحتاج إليه في كل محفل.."[5]

يكشف هذا النص الموجز عن رؤية شاملة لوظيفة كتب الأخبار، رؤية تتجاوز المفهوم التاريخي والبسيط إلى أبعاد أكثر عمقا ودلالة، بداية بالإشارة إلى أن علم الأخبار هو علم شامل جدا وله فوائد عديدة ، فمن الناحية المعرفية فإننا نستخلص العلم و نستنبط الحكمة والفقه من خلاله، والفصاحة من الناحية البلاغية، حيث نجد فيها مختلف الأساليب العربية الأصيلة التي تجعل من الخبر مخزونا لغويا وثقافيا يحمل التراث البلاغي والبياني للأمة.

كما يستدل به أصحاب القياس(**علماء الفقه أو المنطق**)، من خلال استثمار المضامين الموجودة في كتب الأخبار وتحويلها من واقعة إلى أداة للتفكير والاستدلال وإثارة الفقه..فيصبح الخبر بهذا مادة علمية قالبة للاستنباط والاستدلال و للتأويل وصناعة المعنى .

ويحتج بالأخبار أهل المقالات (المنظرون والفلاسفة ، والكتاب...)، ومن الناحية الأخلاقية نجد فيه أمثال الحكماء ومنه تقتبس السلوكيات الجيدة، وتستلهم آداب سياسية الملك (الحاكم) من حزم وعدل وإنصاف... إضافة إلى الأخبار العجيبة والغريبة التي تقدم المعرفة والمتعة و تلفت الانتباه، وهي مصدر مهم جدا للبحث والسؤال والتأمل، وبهذا يصبح الخبر خزانا للهوية الثقافية ومحورا أساسي في بناء الوعي الحضاري.

- أبرز المؤلفات في كتب الأخبار:

- **الفهرست لابن النديم:** جمع فيه ابن النديم

---

[5] -المسعودي - مروج الذهب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الرشاد، المغرب، ج2، ص: 6

- **الأغاني للأصفهاني:** يعد هذا الكتاب موسوعة أدبيـة شـاملة ومتكاملـة حيث جمـع فيـه الأصـفهاني الأخبـار الأدبية والاجتماعيـة والسياسـية ، مـع السـير الشخصـية لحياة الشعراء والمجالس الأدبية..
- **البيان والتبيين للجاحظ:** جمـع فيـه الأخبـار كمـادة تعليمية ومعرفية،وأدخل فيهـا الفكـر واللغـوي والأدبي ، هادفا إلى توضيح أسس البلاغة وفنون البيان.
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي:** تنـاول فيها التاريخ والأخبار السياسية والجغرافية والاجتماعية ، وبين فيهـا أهميـة الأخبـار ومكانتهـا في تكـوين الإرث العربي
- **العقد الفريد لابن عبد ربه:** يجمـع هـذا الكتـاب بين التـاريخ والأدب كمـا يعـد موسـوعة للأخبـار المتنوعـة (السير/ الأمثال/ الحكم / المواقف الاجتماعية...)
- **أخبـار الحمقى والمغفلين لابن الجـوزي:** كتـاب يحتـوي على نـوادر طريفـة وحكايـات أخلاقيـة وعـبر بأسـلوب سـردي ممتـع وتـرفيهي من جهـة، و ذو بعـد أخلاقي تربوي من جهة أخرى.